احمل غائب

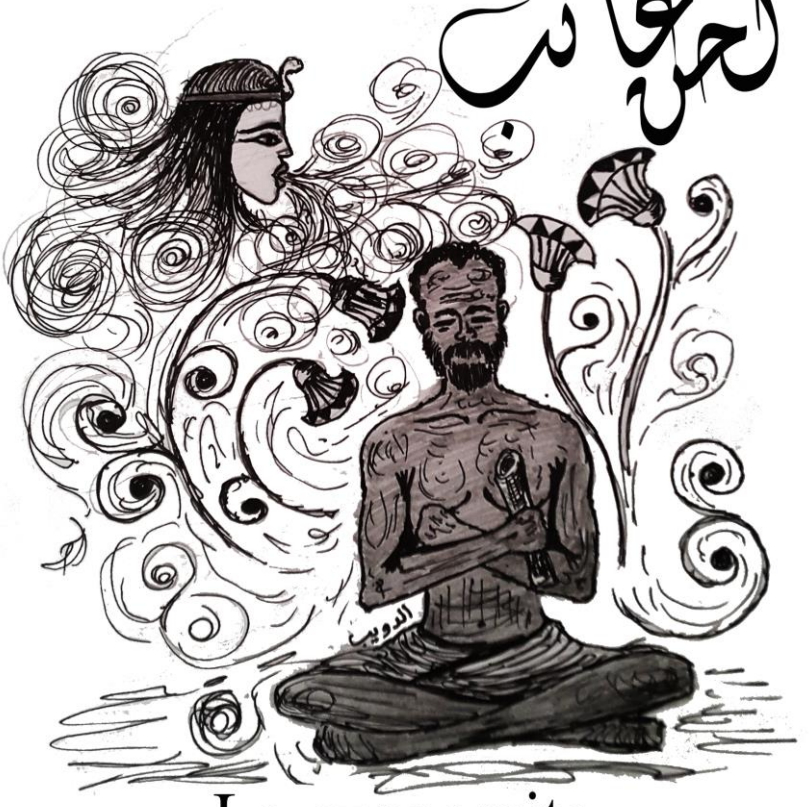

La cupparsita

موسيقا على إيقاع التانجو

تأليف الإسباني: رودريغيز

لحنٌ غائب

رسالة ١

{ إلى صَدِيقِي الجميل: لا تَنْسَ موعدنا عِندَ أثَرٍ-ما }.

هَكَذَا ترْجَمَ له صَدِيقه نصَ البَرْدِيَّةِ؛ التي وَجَدَها في دُرج مكتبهِ بالمتحف؛ في أثناء بحثه عن سرّ الرائحة الغامضة؛ التي مَلَأَتْ الحُجْرةَ، قَفَزَ من نافذة حُجْرته القريبة من الأرض؛ باحِثًا حولَ شُجَيْرَات الفِيكَسْ في الحديقةِ الخلفيةِ لِلْمَبْنَى، لكنه لَمْ يجِد شَيئًا؛ الرائحةُ تتركز في الحُجرة فقط، مَزِيجٍ من الريحان والينسون مختلط بعطرٍ، لمْ يستطِع تَحْدِيده، ولم يشُمَه من قَبْل، يجعله في حالةٍ عجيبة؛ لا يُرِيد لها أن تَنتهي أبدًا.

لَمْ يَعُد أحد من زُمَلائه يقْتَرِب من حُجْرته؛ فعلى الرَغْم من جمال الرائحة؛ إلّا أن غُمُوضها أثار في نُفُوسِهم مخاوف مبهمة، خاصةً مع الحالة الآسِرة التي تُسَبِّبها الرائحة الغامضة، حتّى أن رفِيقه في الحُجْرة؛ قد نُقل إلى مكانٍ آخر بناءً على طَلَبِهِ.

خَبَّأ البَرْدِيَّةَ في مَلَابِسِه، وعلى الرغم من أنها لا تحتوي على أية رائحة؛ إلّا أن الرائحةَ تَحَرَكَتْ معه من المكتبِ، تعبُر معه البوابة الخارجية، فتُلاحِقه نظراتُ الريبة غير محددة التهمة.. انْتَقَلَتْ الرائحة إلى البيتِ، لكنّ زُمَلَاءه اسْتَمَرُوا في القطيعة.

صباحٌ جديدٌ غامضُ الرائحةِ؛ يُسْرِع إلى دُرْجِ المكتب، الرائحةُ تعبُر البوابةَ معَهُ، تتقافز الريبةُ في أعْيُنِهم، لا يشْغَله إلا معرفة مُحتوى الرسالةِ، مَأخوذًا بحالةٍ ساحرة لا يَجِد لها تفسيرًا!

رسالة ٢

{ أي صديقي الجميل، حينما نلتقي عند "أنترو-عا"، سأجلب معي الأجنحة الخبز والنبيذ، أشاركك الصيد، وأضع جلد الغزالة على جُرحك الذي في ذراعك، سنمنحنا حامينَ "جنجور" الفرحة والغبطة، اجلس يا رفيقي تحت شجرة الجميز، واكتب لي نشيدك ليس عليك سوى أن تتبع تعاليم الحكيم "بتاح-حتب" حتى يصبح قلبي مطمئنًا، واعلم أن الجنجورات السبع ستحرسنا عند الشجرة المقدسة }.

[ماذا لو أن هذا كله حقيقة؟ لو أنني أعْرِف ذلك المكان عند النهرِ العظيم، فألتَقِيهَا، بأي لغةٍ سنتحدث؟ هل ينطَلِق لساني بلُغَتِها، أم نتحدث بلغةٍ يعْرِفُها كلّ البشر على اختلافِ لُغَاتهم وأزمنتهم؟ مِثْلَمَا مَنَحَتْني رائحة سحرية.. أمنَحُها رقصةً سحريةً، La Cumparsita.

التانجو.. هل تعرِف التانجو يا أخي؟ ترتاح بين ذِراعيك وأنتَ تَقَود؛ تأخُذها إليك، إلى اليسار، تجْتَاحها بخطواتٍ متلاحقة، تلتفُ الساقُ بالساقِ، لا تَدْري أيَّ ساقٍ هي لكَ، تتبع إيماءاتي؛ تنْزَلِق ساقي أسْفل سَاقها؛ حين تسْحبها للخلف؛ لأعود بها إلى حيث بدأنا، أكْتُب عند كلّ نقطة بجسدِها حكايةً، ستكون سابقةٍ أولى أن يُراقص رجلٌ امرأة في عالمِ البَرْدِي، لكنني لا أعرِف حقًّا كيف يكون الرقصُ! أنا شاعرٌ، والشعراءُ يا أخي لا يعْرِفُونَ التانجو؛ إنهم يكْتُبُون فقط، إمَّا أن تكون تَكْتُب أو تَعِيش، وأنا اخترتُ الشعرَ منذ زمنٍ بعيد]

رسالة ٣

{أي صديقي الجميل، يجب أن نمنع سرقة تمثال الكاتب المصري من المتحف}.

أن تُنادِيه امرأةٌ بـ"صَديقي" - وتَدْعُوه جميلًا، وتنشُر حولَه رائحةَ السحرِ والغموض - شيئًا؛ لم يتخيله أبدًا، لكن أن تَطْلُب منه أن يُخبِرهم باحتمال سِرقة التمثالِ؛ فلا يُمْكِنه أن يفعل هذا، وكيف يُبَرِر لهم ما يقول! سَيَدُقون على جبهتهِ "مجنونٌ رسمي"، ولن يُصَدِّقوه، وما يدريه أن السِرقةَ سوف تتِم بالفعل؟ المكانُ آمن تمامًا، ثم أنه يشُك في وجود هذه البَرْدِيات أصلًا.. رُبَّما يكون الأمرُ مُجَرَد خيال في عقلِه، أو حُلمًا سيصْحُو منه في أية لحظة، فيجِد التماثيلَ المُرتَّبةَ تتفقَّد العابرين - كالعادةِ - في كَرَمٍ بالغٍ؛ لدرجة أنها لا تفتح فمَها؛ لتُبْدِي رأيها فيما تَرَى!

وكأنَّمَا اختفاء الرائحة قد أخفَاهُ عن عُيون زُملائِه، يَمُرُ عليهم مَحْنِيًّا ظهره، وقد طالت لِحْيَتَه، وتَهَدَّلَت ملابسه؛ التي لَمْ يُبَدِّلها منذ فترة طويلة، لا يَجْرُؤ على النَظَر إلى المكان الخالي فوق قاعدة التمثالِ في المَدخَل منذ حدوث السرقة، يَطَأ الأرضَ بخفةٍ في المَمَر المُؤدِي إلى حُجْرة مكتبِهِ؛ يسبِقه أنفُه، يتشمَّم الحوائط، أسفل المكتب، يقفز داخل الدُرْج.. اختَفَت البردِيات من البيتِ واخْتَفَتْ مَعَهَا الرائحة؛ حتّى هو: لا شيء يدل على وجودِه إلا توقيعه في سِجِل الحضور والانصراف؛ الذي أصْبَح خاليًا منذ فترة ليست قصيرة؛ انْتَبَهَ لها الموظفُ المسؤول؛ فاسْتَدْعَى عاملَ الأمنِ وبعض زملائه؛ فَتَحُوا حجرته، يعمَلُون أنوفهم ولا يجدون شيئًا، لا أثرَ لهُ على الإطلاقِ، عاملُ الأمنِ يُغلِق النافذةَ، الأتربةُ عالقةٌ بكلّ شيء، يلاحِظ على الكرسيِّ من خلف المكتب تِمثـالًا صغيـرًا

جدًّا، يَمسَح عنه الغبارَ؛ التمثال لرجلٍ بحجمِ عُقْلَة الإصبعِ؛ محْنِيَّ الظَهرِ وله لِحية، مُمْسِكًا قلمًا وورقة، ألقاهُ العامِل في سَلةِ المهملاتِ قَبْلَ أن يُطْفِئ النور؛ ويَخْرُج.